النص الشعري الأمازيغي مستشرفا النهايات

دراسة سيميائية مقارنة في قصيدة الشاعر الأمازيغي الراحل حميد بنساني

The Amazigh Poetic Text Envisioning Endings: A Comparative Semiotic Study in the Poetry of the Late Amazigh Poet Hamid Bensani

د. ونو حفيظ
جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب سايس، فاس
Hafidfaculte@gmail.com

ملخص:

يتناول المقال قصيدة شعرية أمازيغية للشاعر المنتمي إلى قبيلة كروان حميد بنساني، وهي قصيدة تفتح أفق التأويل على مصرعيه، بالنظر إلى سيرورتها الوجدانية بتأمل تحولات الزمن وتأثيرها على الشاعر فيزيولوجيا ونفسيا، يجمع المقال بين المكون التداولي والوسم السيميائي، كما ينفتح على رؤية مقارنة مع دالية العباسي الشهير ابن الرومي.

الكلمات المفاتيح: الشاعر الأمازيغي – الموت – الجسد – الحسرة – ابن الرومي.

Abstract :

The article examines an Amazigh poetic composition by the poet Hamid Bensani, who belongs to the Krouan tribe. The poem opens wide horizons for interpretation, owing to its emotional trajectory and its contemplation of the transformations of time and their impact on the poet, both physiologically and psychologically.

The article combines a pragmatic approach with semiotic analysis, while also adopting a comparative perspective through a parallel reading with the famous Dāliyya poem of the renowned Abbasid poet Ibn al-Rumi.

Keywords: Amazigh poetry – Death – The body – Heartbreak – Ibn Rumi.

أولا: انتماء الشاعر ومفهوم القصيدة الأمازيغية

1) انتماء الشاعر:

1-1- مسقط رأس الشاعر (قبيلة كروان):

قبيلة بربرية، تنتمي إلى قبيلة صنهاجة كجل قبائل الأطلس المتوسط، استقرت في موطنها الحالي في عهد المولى إسماعيل في بداية القرن الثامن عشر.

"وتتكون قبيلة كروان من العشائر التالية: أولاد لحسن، أولاد نصيرن تولال، بالكوم، بني مبتو، إيكو موسى، الخلفيين، يعزم"[225].

وتنتشر قبيلة كروان على رقعة جغرافية هامة وشاسعة، تقدر مساحتها ب 1692 كلمتر مربع، على طول المنحدرات الغربية لهضبة سايس بمقدمة جبال الأطلس المتوسط غربا، يحدها من الجنوب الشرقي قبيلة بني مطير (إفران – الحاجب) وقبيلة مجاط (بوفكران) ومن الشرق مدينة مكناس ومن الشمال الشرقي أعراب سايس(شراردة ورزيغة)، ومن الشمال مدينة سيدي قاسم، ومن الجنوب قبائل أيت مالو (بني مكيلد وزيان)، وغربا قبيلة زمور.

وتنقسم إلى القبيلة إلى قسمين:

– "قسم شمالي (كروان الشمالية): تابع لعمالة مكناس الإسماعيلية، هذا القسم يتكون من بلدية تولال والجماعات المحلية التالي: (دار أم السلطان، وعين كرمة، وآيت ولال، وواد الرمان، وعين عرمة)"[226].

---

[225] عبد الرحمان بن زيدان، هامش العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1،المطبعة الملكية – الرباط، 1961، ص:17.

[226] قسم الجماعات المحلية، عمالة المنزه.

– قسم جنوبي (كروان الجنوبية): تابع لعمالة إقليم الحاجب، هذا الأخير يتكون من بلدية أكوراي والجماعات المحلية التالية: (أيت يعزم، وراس إجري، وتامشاشات، وجججوح، وأيت ويخلفن).

أما عن المشهد الشعري الأمازيغي في قبيلة كروان فنجده حاضرا في المحافل المحلية والجهوية والوطنية، ويشهد على ذلك كثير من الملتقيات في مناسبات رسمية أو دينية، كموسم إحياء ذكرى المولد النبوي بمكناس، الذي تقام فيه خيمة الشعر بساحة الهديم، تجمع بين فرق الإنشاد من مختلف القبائل، فيتداولون الإنشاد حد التنابز بالكلمة الشعرية الراقية...، كما نجد حضور شعراء كروان موسم مولاي "إدريس زرهون"، والذي فيه يظهرون براعة الكلمة وجميل النظم...، ونجد من هؤلاء الشعراء الكبار : بنعيسى أوملالا، ألمان ادريس، والمعاصرون مجموعتا "كروان" و"ثاظفي"، وهما من أهم الفرق في العقود الثلاثة الأخيرة.

وتناول هؤلاء الشعراء موضوعات كثيرة منها: منها المقاومة والانتخابات والدين وقضايا المجتمع، وكان لهؤلاء بعد ذيوع الصيت حظوة اجتماعية، رغم أن أغلبهم لم يمر عبر المدرسة أو لم يتجاوز المرحلة الابتدائية، لعسر متابعة الدراسة، الناتج عن إكراهات مادية وجغرافية.

وللإشارة فقد تميزت منطقة كروان بإنشاء القصيدة عوض الأنماط الشعرية الأخرى، ولعل السبب يعود إلى انبساط الأراضي التي توحي بالامتداد وسيولة الإنشاد.

2-1- التعريف بالشاعر:

حميد بنساني: ولد سنة 1963، بآيت علي وداود، آيت يعزم، الحاجب، ذو مستوى تعليمي بسيط، قاطن حاليا بمدينة أكوراي، حاصل على مجموعة من الجوائز والشواهد التقديرية، كما شارك في معظم المهرجانات الأمازيغية، وتوفي سنة 2023.

2) مفهوم القصيدة الأمازيغية:

هي عبارة عن قصائد طوال تسمى [أهلل – تامديازت]، وتأتي في الغالب على شكل حوار، حيث يتوسط الجمهور شاعران أو ثلاثة يدعون بـ[إنشادن]، يستهل كل واحد منهم دوره بإنشاد إفتتاحية دينية قبل الانتقال إلى صلب الموضوع.

وتتنوع القصيدة الأمازيغية من حيث شكل أدائها إلى:

- "قصيدة (1) : [شاعر ينشد وإثنان يرددان].
- قصيدة (2): [شاعران يتحاوران وإثنان يرددان].
- قصيدة (3): شاعر ينشد وإثنان يرددان ويسترسلان في الإنشاد إلى حين].
- قصيدة (4): [شاعران يتحاوران وإثنان يرددان ويتمان الكلام].
- قصيدة (5): [شاعران أو أكثر يتحاوران، وإثنان يرددان].
- قصيدة (6): [شاعران أو أكثر يتحاوران، وإثنان يرددان ويتمان الكلام]"[227].

وتتألف [تيفارت] من عدة أبيات متتالية، وتنقسم من حيث بناؤها الهيكلي إلى:

– **المطلع:** ويتخذ طابعا دينيا ذا نزعة تضرعية يذكر فيها الشاعر فضائل الله على خلقه، وفي ذلك يقول الشاعر:

زُورْخشْ أربي العفو نون أيكونيخ.

بك أبد يا ربي، رحمتك هي التي انتظرت.

[227] إبراهيم امحزون، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1968 بجماعة أيت بورزوين بالحاجب، غير متمدرس، فلاح.

"هذه المقدمة تطورت في مضمونها بعد أن كان الشاعر فيها يتوسل لأحد السادات ليمنحه شيئا ينقصه، وفي ذلك يقول الشاعر:

زُورْخْشْ أَجْخْمَّارْ أَشِّيخْ جُوذْ غِفِي.
بك أبدأ يا سيد [الخمار] لتجود علي"[228].

– **الموضوع أو الغرض الرئيس:** وفيه يطرح [أنشاد]، قضية أو يستحضر فكرة أو يسرد واقعة، مع إثارة بعض من انطباعاته الشخصية، وكان الشاعر لا يتقيد بموضوع واحد، بل يتناول مواضيع عديدة، قد لا يكون فيما بينها رابط، أما في السنوات الأخيرة، فإننا نجد الشاعر يلتزم وحدة الموضوع، بينما في القديم، كان الشاعر لا يحيد عن الأغراض التقليدية: [كالهجاء والمدح والرثاء والفخر...]، أما اليوم "فالشاعر يتناول ما يرتبط بالسياسة والقضايا الاجتماعية والثقافية والتاريخية والمستقبلية، الكلية والجزئية، ومختلف ما يتعرض له شعبه وكل ما وصل إليه إدراكه ومعرفته"[229]. والانتقال من المطلع إلى الغرض الرئيس لا يكون فجائيا، وإنما يكون بعبارات تمهيدية، مثل قول الشاعر: [أَذخْلفْخْ أَوَاج – أتجاوز هذا الكلام – أَتْسْمُوتِّيخْ زْكَّا – أنتقل من هذا].

– **الخاتمة:** وفيها يوضح الشاعر الأمازيغي غايته من نظم قصيدته، التي تتضمن ما استخلصه من تجارب الحياة، وخلال ذلك يدعو الحضور إلى التمعن في مضامين قصيدته التي يختمها بنصيحة أو موعظة أو حكمة للمتلقي.

[228] الحسين أوعرفة، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1955 بجماعة تيمحضيت، غير متمدرس، فلاح.

[229] بودريس بلعيد: من شعرية القريض الأمازيغي، مجلة مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية متعددة التخصصات بتازة، العدد الرابع، 2013، ص:314.

ويمكن التمييز في القصيدة الأمازيغية بين ثلاثة أنواع من الأنماط:

"أ/ **أَدَانِي** ⇦ من خلال قول الشاعر:

- أَوَاشِي زُورْخْ أَرْبِّي، غُورْسْ مَا يْذْيَكْ. – بيتين قصيرين:

اللهم إني أجلك يا ربي الجواد. – تغنى في بداية الأفراح قصد

- أَبَا بْنْ إِثْرَانْ ذْوَ يورْ غْرِخَاوْنْ أَوَا دَانِي. تنبيه الجمهور للاستماع.

يا خالق النجوم والقمر، أطلبك. – تغنى بدون آلات عزف أو إيقاع.

ب/ أزدَّايْ ⇦من خلال قول الشاعر:

- زُورْشْ أَرْبِّي غْرِخَاشْ أَيَامْزْ وَارُ نُوئِظَا. – بيتين طويلين.

بك أبدأ يا رب، أنت مبدئي في هذا الليل. – تغنى في بداية الأفراح قصد

- أَنَّا غْرْدِّخْ نَفْذْ ذَ تَّاخْ لْخِيرْ. – تنبيه الجمهورللاستماع.

أينما ذهبت، وجدت الخير أمامي. – تغنى بدون آلات عزف أو إيقاع.

ج/ تيفارت ⇦ وهي سلسلة من الأبيات الشعرية، تنشد طوال الحفل"[230].

وكما هو معروف في الشعر التقليدي تتخذ القصيدة "شكل حوار ومبارزة فنية إبداعية بين شاعرين أو أكثر، فهي إذن تعتمد على الحوارية كشرط أساس لاكتمال المقومات الفنية، وقد يأخذ هذا الحوار طابع السخرية والتهكم والهجاء"[231].

---

[230] الداودي سليمان، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1958، بجماعة راس إجري – الحاجب، غير متمدرس.

[231] الحسان مصحو: مفهوم الشعر في الأدب الأمازيغي: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الأنماط الشعرية الأمازيغية التقليدية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص: 25.

ويتحول شعر النقائض في الغالب إلى مجادلة شعرية، بكل ما تحمله لفظة (مجادلة) من أبعاد فلسفية وفكرية، فينأى الشاعر – أثناء ذلك – عن ذلك التوجه العام للإنتاج الشعري الشفوي المطبوع بالعفوية في الإلقاء والبساطة في طرح الأفكار والآراء.

"أما الهدف من هذه المبارزات فهو إظهار البراعة في النظم وصياغة القول إلى جانب الدفاع عن المواقف والأفكار، الشيء الذي يجعل من هذه المبارزات حقلا للمعارف ومصدرا لإنبهارات جمالية من حيث الأفكار أو أسس القول"[232].

ففي إطار شعر النقائض يقول الشاعران:

الشاعر حسن أرشيد:

1) أَيَاشْ أَيَا عْسْكْرِي أَجِيشْ دِّفَاعْ مَانِي لْحْدُودْ ثْقَابْلْثْ مَانِي صْحْرَى.

✓ أحقا أيها الجندي مارست الدفاع عن الصحراء؟ !

2) أَثَغُولْثْ ثْلْهِيثْ سْلْفْرَاوِحْ ثْلْهِيثْ سْلْفْرَاجَاثْ غَا سِ ئَقْصِّيرْ.

✓ فقد تحولت إلى من استهوته الأفراح والسهرات.

3) مَثَّا لْعْدَّا نَّا ثُوسِيثْ مَثَّا لْبُولِيسَارْيُو نَّا ثْنْغِيثْ.

✓ فأي سلاح حملت وأي عدو قتلت؟

4) أَوَا مْشْغُورُّونْ يَّانْ لْغْرْ ئِمْغْرَابِينْ نْسَانْ لْخْجَا.

✓ ياذاك إن كان عليك المعول، صار الأمر إلى عبث.

الشاعر عزيز الداودي:

1) أَوَا نْكْنِي ئِعْسْكْرِينْ أَكُوسِينْ أَمُورْ نْلْحَامْيَا نْثْمَازِيرْثْ أَتِنْحْظُو.

[232] أبزيز محمد: شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1981 بجماعة المرس–بولمان، ذو متسوى تعليمي ابتدائي.

✓ يا هذا نحن المجندين من حملنا اللواء من أجل الحمى.

2) أَوَا أَيَاشْ أَلِّي نْدَّا أَذْخْشْمْخْ نِلَرْمِي أَفْرَاحْ أَسْدِّيخْ.

✓ يا هذا أتعلم أني انخرطت في الجندية عن طواعية وانشراح ؟

3) أَوَا غَاسْ أُودْمْنْشْ أَشْعْبْ أَمْغْرَبِي ثْمَازِيرْثْ ذُويْلِّيذْ أَخْفْ أَرْنْتْمْثَاثْ.

✓ يا هذا ليس إلا في سبيل الشعب والوطن والملك كان الفداء

4) أُومَا شِّيخْ حَاسَانْ أُورَسِيغِي نِلْبَارُودْ نْدَّا أُومْخِيبْ نِخْشْمْ سِيرُومِينْ.

✓ أما الشاعر حسن فمتقاعس، وقد آثر المذموم الهجرة إلى بلاد النصارى.

وتنبني القصيدة الأمازيغية بالأطلس المتوسط على ميزان واحد، ولكن بألحان متنوعة، حيث وصل الشعراء الأمازيغيون بالمنطقة إلى ما يقارب مائتي وخمسين لحنا، بمعنى ما يقارب ألفي إطار [اللغا]، لكون أن كل لحن يعادل ثمانية إطارات [لْغَاوَاتْ]، وبذلك يمكن للشاعر أن ينظم قصيدته على لحن معين وواحد ولكن بإضافة أدوات [أوا – أهاوا – أياوا – هاياوا] تجعل للقصيدة أوزانا أخرى.

ثانيا: تعريب القصيدة ودراستها

1) تعريب القصيدة:

- **زُورْخْشْ أَبُو لْمْلْكْ أَرْبِّي بْدِّي أَبُو لْمْخَازِينْ نَّا أُورْذَا يْكَّانْ**

← بك أبدأ، يا صاحب الملك والخزائن الذي لا تأخذه سنة ولا نوم

- **أُورْذِي يِيوْنْ أَنُودْمْ أَشِغْذْرْ أَتْهْوُومْ نِذَامْ أُورَعَانْشْ نِدُّونِيثْ أَرْذْجَا**

← لا يصيبك نوم، أنت العليم بكل شيء

- **ثَانِّيثْ لَجَلْ لُّمَمْ نَّا يْزْرِينْ ثَانِّيثْ أَنَّا يْسُولْ نِعْدَّا أُورِظْهِيرْ**

← رأيت أقدار كل الأمم ما حدث وما لم يحدث

- ئِلاَّشْ لْعَدَدْ يُوفُوسْ أَيَا نْبَّاظْ أُورْذَا سَّمُوتْ ئِرَّايْنْشْ أَوْذْيُوكْ

← تعرف مقدار الأعمار وكلمتك لا تتغير

❖

- أُومَا لِخْرَة أَمْ عْطْرْخْ أَمْ نْزْرْبْ مُّولِينُو أَدَّا خْطَّاوْظْ

← فالآخرة سواء تقدمت أو تأخرت سيدركني دوري

- أَنَّا خِلاَّنْ ئِلْعْمْرْ أَتَّزْرِيخْ أُورْنْ دْزَيَاذْ أَسْ ظْرَاسْ

← ما هو مقدر لي سأعيشه بدون زيادة

- أُورْدَّامْ غَاسْ أُودْمْ رْبِّي ئِسُوجْ ئِدَّا أَذَا خِتَّوِيَا أُوصْمْظْجِينُو

← لا يدوم غير وجه الله، فالمصير هو القبر

❖

- ثَمَثَارْثْ لَّخْرَا سْكِّيسْ أَدَّا ئِتْتُويْ شِّيبْ أَقْشَاشِينُو

← فأمارة الكبر، اشتعال الرأس شيبا

- يَغُولْ وَزَّارْ ئِبْدْلْ أَمِي أُورْجِّينْ بِيخْ لْفْرِزِي ئْبِخُّوشْنْ

← تغير شعري الذي قصصته سابقا

- ئِدَّا أُومْجِيجْ ئِزِّعْ أَبْخُّوشْ ئِغْلْبْ غِفْسْ لَّتِي ذِتْخْلاَّفْ

← تحول الشعر من شقرة أو سواد إلى بياض

- نْوِيخْ أَمْ لْمْثُوجْ نُونْبْذُو لَجَلْ لَّيْتْقْنْ ثَبَانْشَا غُورْخْ

← نضجت سنابلي وأتى الصيف ليحصدني

❖

- أَيَا رُّوحِينُو أَدَّا يْثْرِيمْ أَتَافْظْمْ ثْلْوُودْ أَلْعِيبْ ئِغْصَانِينُو

← حين تؤذن الروح بالرحيل، تستجيب لها العظام

- لَّتْكْسْنْ وُوخْسَانْ ئِرُّويَاخْ وُوتْشِي أُورِسْكِّيذْ أُوفْزَازِينُو

← تتساقط أسناني، أجد صعوبة في الأكل.

- يَغُولْ وَوَاجْ لَّخْسْرْ ئِشَا نْشَا نِمِي لَّتْفْلاَّظْنْ

← صرت متلعثما وصوتي متقطعا

- ئِدَّا أُوذْمْ لِّي ئِغْمَّرْ أُورَانْ يَامُومْ ئِنِي هْنِيذْ ئِكْرُوشْنْ

← والوجه الممتلئ غزته التجاعيد وضعف

- أَذَا رُّويْخْ أَمُوعْبَانْ أَبَاجِي أُورْظْمِيغْخْ أَذِجِيخْ ئِوِينْ لْعْنَايْثْ

← صرت أذبل كأسمال قديمة، ولا لباس جديد لي

❖

- أَلاَّخْ تُوحِيلْثْ أَيَا رَعَا لْبْغْذْ لَّخْتْنِقِيسْنْ

← ضعف بصري وصرت عاجزا عن رؤية ما هو بعيد

- لَّتَنِّيخْ يُونْ لَّتِنِيخْ ئِتْسِينْ ثُوجِثِي أَثَوُّوتْ خْفْ وَالْنْ

← صارت الرؤية ضبابا

- ⵉⵉⵖ ⴰⵎⵉ ⵓⵔⵊⵊⵉⵏ ⵏⵉⵡⵉ ⵏⵉⵖⵓ ⵍⵅⵉⵜⵛⵛⵅⴰ ⵓⴱⵔⵉⴷ ⵍⵜⵜⵖⵙⵙⴰⵍⵅ

← كأني لم أتمشى ليلا فقط أرمي خطوي

- أُورْيَاذْ ذَتْحْقَّاخْ ذَثِي لَّسْعِوِينْخْ سُعْكَّازْ ئِوْظَرِينُو

← أستعين بعكاز لأتحرك

❖

- أُورْيَاذْ ذَتْسْلاَّخْ ئِثْغُورِي أُونَّا أُورَا خِنْزِلْ مَّاخْ ئِدَّا ذَا سْنْسْلْ

← ضعف سمعي إلا من قريب

- وَخَّا مْشَوَارْ مِدِّنْ ثَمَانُو أَنَّا مْيَنَّانْ ئِدَّا تِسِينْخْ

← حتى حوار الناس بجانبي صرت لم أسمعه

- أَدَّا ئِسَوَاجْ شَا أُورْذَا ثِي تْوَاجَبْخْ ئِنَاسْ أَذِي سْنْقِّيمْ

← أجالس شخصا ما فلا أجيبه

- مْشُورَاخْ حُوذِرْ سَامْزُّوغْ أُورْتْفْهَامْخْ أَنَّا ذِقِّيسْنْ

← إذا لم يدنو شخص من أذني لا أسمعه

❖

- لَّيِي تْهْوَّالْمْ أَلْمْفَاصِيلْ نِفَادْنْ نْشْرْمْ ئِبِّي أُوسَرَانُو

← كلت مفاصلي فلم يعد بمقدوري التحرك

- ⵉⵉⵅ ⴰⵎⵉ ⵓⵔⵊⵊⵉⵏ ⵏⵓⵊⵉ ⴰⵙⴰⵡⵏ ⵡⵊⴰ ⴰⵏⴰ ⵢⵍⴰⵒ ⵍⵓⵄⵔ

← كأني لم أصعد عقبة

- ⵜⵔⴰⵉⵉ ⵜⵡⴷⴰ ⵖⴰⵙ ⴰⵏⵢⵓⴷⵓ ⵛⵡⵉ ⵏⴰⴼ ⵏⵡⵊⵊⵔⵉⴷ ⴰⵔⵜⵓⵃⵉⵊⵅ

← أتعب وأنا أمشي

- ⵓⵔⵕⵕⵉⵎ ⵡⴷⵉⴼ ⵏⵄⵊⵊⵎⴰⵏⵓ ⵓⵙⴰⵔ ⵟⵎⵄⵅ ⴰⴷⵉ ⵙⵏⵙⴰⴼⵔ

← العظام تآكلت غضاريفها لم أعد قوي الحركة

❖

- ⵍⵅⵜⵏⵜⵕⵉⵙⵏ ⵏⵣⵓⵔⴰⵏ ⵏⵍⵇⵇⵓⵜ ⵜⵏⴰⵇⵚⵜ ⵜⵣⵓⵔⵜ ⵏⵚⴰⵃⵜ

← لم تعد عروقي قوية، ونحف جسمي

- ⵜⵖⵓⵍ ⵜⴷⴰⵡⵜⵉⵏⵓ ⴷⴷⴰⵔ ⵙⵜⴰⵊ ⵍⵜⵙⵃⵓⵣⵔⵜ ⴰⵜⵓⵙⵔⵜ

← تقوس ظهري، فاقتربت من الأرض

- ⵉⵉⵅ ⴰⵎⵉ ⵡⵔⵊⵊⵉⵏ ⵏⵎⵙⴰⵙⴰ ⵍⵇⴷⵉⵏⵓ ⵍⵡⴰⵏ ⴷⵙ ⵏⴼⵔⵓⵖⵏ

← كأني لم أكن منتصب الهامة والقامة

- ⵏⵙⵏⵇⵏ ⴰⴷⴱⵔⵎⵅ ⵜⵙⴰⵄⵜ ⵏⴰ ⵢⵣⵔⵉⵏ ⴰⴼⴰⴷ ⵏⵜⵎⵣⵉⵉⵏⵓ

← ليت الشباب يعود

- مْشُورْ أُورَاخْ يُومِيزْ شَا أَفُوسْ ئِحْرْمْ أَظْغَارِينُو أَثْمُوثِّيخْ

← إذا لم يساعدني أحد ما انتقلت من مكان إلى آخر

- أُورْيَاذْ ذَنْتْدُّو غْرْ أَجْمُّوعْ نْثْيْمِّي مْغَارْ تُويَانْ ثَمَانُو

← أتجنب الحفلات الجماعية وأكتفي بالعزلة

- ئِلاَّ ذِيِّي أُغُورْبْ أَمُورُفِيخْ كُو لْمْرْثْ أَذِي سُكُّورْ شَا غُورْخْ

← الغربة اجتاحتني، ولا أجلب الآن إلا من يزورني

- ئِعْمَيِي لْقْنْظْ أُورْجِيخْ أَفُوذْ ئِتَّاوِينْ غْرْ لْحْبَابْ أَهْنَّايْخْ

← أعماني اليأس ولا حول لأزور الأحباب

❖

- رْبِّي أَمِي قَارْخْ أَذَاخْ ئِغَافْرْ أَذِي سْكِّيرْ تُّوبْثْ ئِلْمْعْصِيثْ

← أنادي ربي، داعيا بحسن الخاتمة

- ثْمْحُوثْ ذْنُوبْثْخْ أَرْبِّي كُونْ سِّرْذَاسْ سِثْذَاوْثْ أَمُوتْلْ

← يمحو خطايانا ويغسلنا من الذنوب

- أُوْنَّا ذَا يْتْشْهَادْنْ أَرْذْجَا تْسَامْحْثَاسْ أَبُو لْفَظَايْجْ

← كل من يتشهد اغفر له يا ذا الفضل

- لْعَارْنْشْ ذْلُّومْثْنْشْ أَمُحَمَّدْ تْسْرَاحْثْ سِلْعْذَابْ

← كن شفيعا لنا يوم القيامة يا رسول الله

2) دراسة القصيدة:

يتحدى الشاعر الزمن بطريقته الخاصة، فهو يكتب أو يقول معلنا حربا دروسا على النسيان، بل يتعدى ذلك إلى ما يشبه كتابة السيرة الذاتية، وإن كان هذا الجنس الأدبي عند "فيليب لوجون" مرتبطا بالنصوص النثرية، أصبح الحديث في الدوائر الأكاديمية خلال السنوات الأخيرة منفتحا على ما يسمى بالسيرة الذاتية الشعرية، هذا ما نجده عند كبار الشعراء كالشاعر الشيلي "بابلو نيرودا" في عمله الشعري (عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة)، أو الشاعر الفلسطيني "محمود درويش" في عمليه الشعريين (لاعب النرد، لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي)، كل هذه النصوص وأخواتها تنقل العنصر الشعري إلى مستوى أعلى كثيرا من التعبير النفسي أو الغنائي العابر، فتجعل النص إعادة كتابة لحياة الشاعر، والملفت في هذا الباب، أن "القصيدة (تايفارث) في كثير من مستوياتها تعتمد البناء السردي على نطاق واسع، مما يعني، بشكل من الأشكال، محاولات استيحاء، أو استدعاء الأبعاد الدرامية لإثراء معالمها وعناصرها، وهو ما يرسخ على صعيد آخر اختيارات وجماليات جديدة قصد تشغيل القصيدة على إيقاعات القص أو السرد أو الحوار، أو المونولوغ في اتجاه توليد إمكانات جديدة لها"[233].

ويجلي هذا النص المقترح للشاعر حميد بنساني فيما يجلي دورة الحياة كما يراها الشاعر، انتقالا من فتوة الشباب إلى ضعف الشيخوخة وما يرافق ذلك من تحولات فيزيولوجية ونفسية. وقبل الخوض في المستويات التحليلية للنص لابد من الإشارة إلى بساطة بنيته الدلالية:

- يبدأ الشاعر مبتهلا متوسلا لله عزوجل.
- يصور أثر العمر على جسده.
- يطلب المغفرة وحسن الخاتمة.

العصر الأول بمثابة مقدمة دينية لكل زمان ومكان، بل هي مقدمة مرجعية، تثبت إيمان الشاعر وسلامة عقيدته وتوسله بذكر الله سبحانه وتعالى، ويعكس ذلك "عمق أثر الخطاب الديني في الثقافة

(233) سعيدي المولودي، مداخل إلى الأدب الأمازيغي للأطلس المتوسط، منشورات جمعية أجذير إيزوران للثقافة الأمازيغية، خنيفرة، المطبعة الرباط نت، الطبعة الأولى، 2018، ص 96.

الأمازيغية ومدى تجذر النظرة الدينية الفقهية في الوعي الشعبي لمختلف الشرائح الاجتماعية في الوسط القروي الأمازيغي خاصة وينطبق هذا الحكم عل نسبة هامة من المجتمع الحضري الأمازيغي أيضا"[234].

لينتقل الشاعر إلى ما لا يمكن أن تتجاوزه ذاكرة أي باحث، وهي القصيدة المشهورة لابن الرومي وبيتها الشهير:

ألا ليت الشباب يعود يوما * فأحكـي لـــه ما فعـل المشيــب**

إن شاعرنا حميد بنساني يمكن الجزم بأنه لا يتعرف على ابن الرومي، فهو لم يدرس بشكل يمكنه من ذلك؛ أبيات كثيرة يغلب فيها جانب التصوير القائم على الثنائيات (القوة / الضعف – الشباب/الشيخوخة – البصر/العمى – الاجتماع/ العزلة)، إضافة إلى تركيزه على عناصر جسده المؤثرة على هاوية الزمن والاختبار البيولوجي الشامل، ظهر متقوس، بصر ضعيف، سمع طفيف، صمت ومجهود كبير للإنصات، كأننا بالشاعر يحتضر، فيصح فيه قوله تعالى: **(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)** "**سورة ق، الآية 22**"، فيتذكر ما مر به وما عاشه في هذه السيرة الذاتية الشعرية المختصرة بنفس روحي رباني، بالدعاء له وللناس أجمعين وبطلب المغفرة، واستجداء شفاعة النبي ρ.

والموت إذن محور الضمني للقصيدة (وإن لم يشر إليه الشاعر صراحة)، فحين يبلغ الإنسان هذا الوعي بالذات وبما يمكن أن يحدث لها يكون قد نضج في علاقته بمصيره، الذي هو مصير كل إنسان على وجه الأرض.

تعود القصيدة إلى تسعينيات القرن الماضي، لكن الشاعر لم يفارق الحياة إلا في بداية الألفية الثالثة، وهو نعتبره استشرافا قبليا لما كان يراه الشاعر وحده.

([234]) عصيد أحمد، خطاب الحكمة في الشعر الأمازيغي، تاسكلان تمازيغت، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أعمال الملتقى الأول، الدار البيضاء، طبعة 1991، ص: 145.

لا يفوتنا ونحن بصدد تحليل هذا النص أن نؤكد على أن المقدمة الدينية ثابت أساسي من ثوابت القصيدة لا عند الشاعر حميد بنساني، "ولعل هذه المقدمة هي ما يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا، إنه يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتولد وتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو يحدد هوية القصيدة، فهو إن صحت المشابهة، فبمثابة الرأس للجسد والأساس الذي تتبني عليه"[235].

نعتقد أنه من الأخطاء التي شاعت في دراسة وتحليل النص الشعري، هو حصاره ضمن مجال محدد كأن نقول، على سبيل المثال، بأن هذه القصيدة تنتمي إلى "شعر الحكمة"، فالحق يقال، نلمس جانبا من ذلك، لكن هذا لا يعني وضع النص ضمن هذا الإطار والحكم عليه بهذا المنطق، فنحن نرى أن النص، نص وجودي، والشعراء الذين يتوقفون عند ذواتهم في أواخر عمرها ويستشرفون فكرة الموت، هم شعراء يعدون على رؤوس الأصابع، هذا مبرر واضح على قوة تجربة الشاعر حميد بنساني رحمة الله عليه، وتأكيدا على شعريته المتماسة مع واحد من كبار شعراء العصر العباسي، ابن الرومي، إذ يلتقيان بشكل مدهش في التصوير الآتي:

بيت حميد بنساني:

- **أَلَاَّخْ تُوحِيلْتْ أَيَا رَعَا لْبْعْدْ لَّخْتْنْقِيسْنْ**

← ضعف بصري وصرت عاجزا عن رؤية ما هو بعيد

- **لَّتْنِّيخْ يُونْ لَّتْنِيخْ نِتْسِينْ ثُوجِتِي أَتَّوُّوتْ خْفْ وَالْنْ**

← صارت الرؤية ضبابا

(235) أحمد المنادي، علي شوهاد – نظرات في مساره الشعري، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، طبعة 2011، ص 25.

بيت ابن الرومي:

وبورك طرفي فالشخاص حياله * قرائن من أدنى مدى وهي فرَّد**[236].

بيت حميد بنساني:

- **أُورِقِّيمْ وَذِيفْ ئِعْجُّمَانُو أُوسَارْ ظْمِعْخْ أَذِي سْنْسَافْرْ**

← العظام تآكلت غضاريفها لم أعد قوي الحركة

بيت ابن الرومي:

ودب كلال في عظامي أدبني * جنيب العصا أنأد أو أتيد**[237].

فلابد من هذا الباب "الإصرار على تحليل بنية الثقافة الأمازيغية من خلال عناصرها الداخلية لفهم خصوصيتها وتحليل عناصر التمازج بينها وبين الثقافات المختلفة لفهم قيمتها التاريخية والحضارية"[238].

المصادر والمراجع

- أحمد المنادي، علي شوهاد – نظرات في مساره الشعري، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، طبعة 2011.
- أحمد عصيد، دراسات في الأدب الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، طبعة 2015.
- الحسان مصحو: مفهوم الشعر في الأدب الأمازيغي: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الأنماط الشعرية الأمازيغية التقليدية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009.

([236]) ديوان ابن الرومي، تحقيق كامل الكيلاني.

([237]) ديوان ابن الرومي، تحقيق كامل الكيلاني.

([238]) أحمد عصيد، دراسات في الأدب الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، طبعة 2015، ص: 37.

- سعيدي المولودي، مداخل إلى الأدب الأمازيغي للأطلس المتوسط، منشورات جمعية أجذير إيزوران للثقافة الأمازيغية، خنيفرة، المطبعة الرباط نت، الطبعة الأولى، 2018.
- عبد الرحمان بن زيدان، هامش العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1،المطبعة الملكية – الرباط، 1961.
- عصيد أحمد، خطاب الحكمة في الشعر الأمازيغي، تاسكلان تمازيغت، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أعمال الملتقى الأول، الدار البيضاء، طبعة 1991.
- بودريس بلعيد: من شعرية القريض الأمازيغي، مجلة مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية متعددة التخصصات بتازة، العدد الرابع، 2013.
- إبراهيم امحزون، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1968 بجماعة أيت بورزوين بالحاجب، غير متمدرس، فلاح.
- أبزيز محمد: شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1981 بجماعة المرس–بولمان، ذو متسوى تعليمي ابتدائي.
- الحسين أوعرفة، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1955 بجماعة تيمحضيت، غير متمدرس، فلاح.
- الداودي سليمان، شاعر أمازيغي، مزداد سنة 1958، بجماعة راس إجري – الحاجب، غير متمدرس.